أدولف هتلر

كفاحي

ترجمة

لويس الحاج

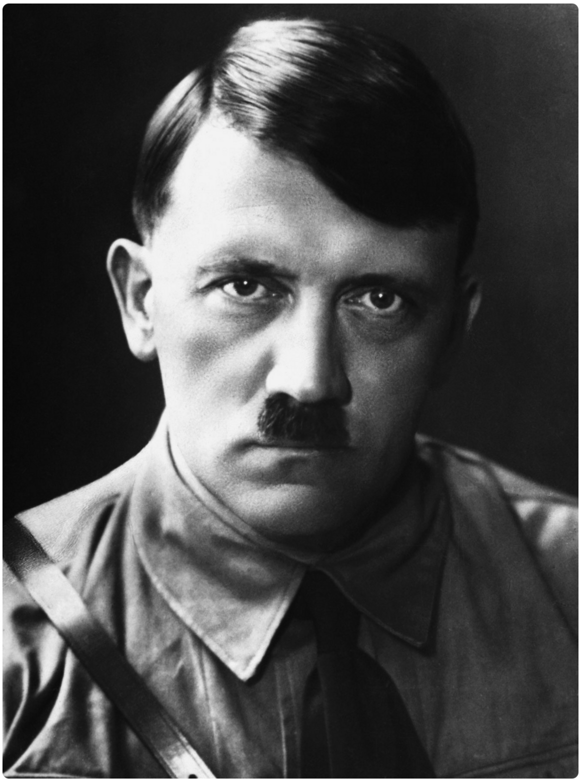

الفصل الأول

١

طفولتي

شاء حسن الطالع أن أبصر النور في برونو ، المدينة الصغيرة الواقعة على الحدود الفاصلة بين ألمانيا والنمسا الدولتين الألمانيتين اللتين يجب أن يكون اتّحادهما مجدّداً في رأس الأهداف التي نعمل لها في الحياة .

فالنمسا الألمانيّة يجب أن تعود إلى حضن الوطن الألماني الأكبر ، لأن الدم الواحد هو ملك الوطن الواحد . ولن يكون الشعب الألماني ذا حقّ في أي نشاط استعماري ما لم يجمع أبناءه في دولة واحدة ، ومتى احتوى الرّبخ أبناءه جميعاً يمسي عاجزاً عن إعالتهم ، ومن العوز ينشأ حقّ هذا الشعب في الاستيلاء على أراض أجنبيّة . عندئذ تتخلى السكة عن مكانها للسيف وتعدّ دموع الحرب حصاد عالم الغد .

أدولف هتلر في عامه الأول

أبصرت النور في العام ١٨٩٠ وكان والدي موظّفاً جمركيّاً ذا مسلك مثالي ، وبعد إحالته إلى التقاعد عاد بعائلته إلى مدينة لانز مسقط رأسه ثم انتقل بنا إلى قرية « لامباخ » حيث انصرف إلى استغلال أرض كان يملكها . وفي

لامباخ ومدرستها وفي علاقاتي مع رفاقي بدأتْ أفكاري الشخصيّة تطبع تصرّفاتي بطابع خاصّ ؛ وبالرغم من حداثة سنّي رحت أفكر في المستقبل ، فما استهوتني مهنةٌ ولا حرفة وما راودني قطّ ميل إلى النسج على منوال والدي ، فقد بدت لي الوظيفة وكأنها حبلٌ يشدّ بالمرء دائماً إلى أسفل . وخُيِّل إليّ وأنا أمتحن موهبتي الخطابيّة في كلّ مرّة كنت أحاول إقناع رفاقي بما يبدو لي صواباً أني خُلقت محرِّضاً وقائداً .

وفي أوقات الفراغ كنت أغزو مكتبة والدي وأنكبّ على تصفّح كتب التاريخ والمجلاّت المصوّرة ، فوقعت ذات يوم على مجلّة كانت تصدر في

والدة أدولف هتلر

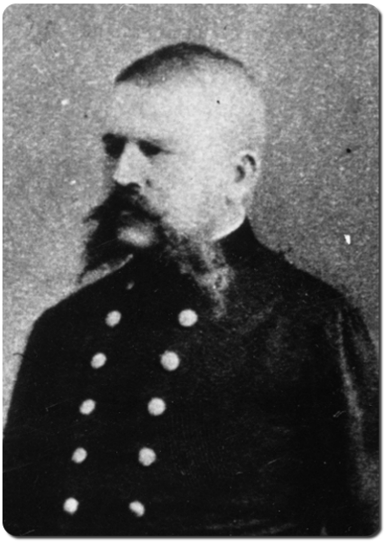

والد أدولف هتلر

العام ١٨٧٠ ، وفيها وصف أخّاذ للحرب بين بروسيا وفرنسا . وقد تساءلت وأنا أتتبّع خطى الجيش البروسيّ المظفّر : أين كان ألمان النمسا يومئذ ؟ ولمَ تخلّف والدي وسائر النمسويين عن السير في موكب النصر ؟ وهل ثمّة فرق

الفصل الثاني

١

ملاحظات سياسية عامة

علّمتني الأيّام والتجارب التي مرّت بي أنّه يحسن بالمرء ، إلاّ إذا كان ذا مواهب خارقة ، ألاّ يخوض معترك السياسة العمليّة قبل بلوغه الثلاثين . وحتى هذه السنّ يكون قد جهّز نفسه بالعدّة اللازمة للانطلاق وغربلة القضايا والمبادىء والنظريات قبل أن يتّخذ منها موقفاً معيّناً . ومتى تمّ له تكوين رأي شخصيّ في كلّ من القضايا التي تشغل الرأي العام، يمكنه أن ينزل إلى المعترك السياسي مسلّحاً بالمعرفة والاختبار . أمّا إذا لم يفعل وعجّل بالنزول إلى المعترك فإنّه واجد نفسه بعد حين مضطرّاً إمّا إلى تعديل الموقف الذي كان قد اتخذه من بعض المسائل الجوهريّة أو إلى الاستمرار في هذا الموقف مع اقتناعه بأنّه موقف غير سليم . ففي الحالة الأولى يكون عليه أن يدفع ثمن تسرّعه ثم تذبذبه خسارة فريق من أنصاره الذين يقفون حيارى حيال هذا التحوّل ولا يجدون له تعليلاً مقبولاً .

وفي الحالة الثانية ، وهي شائعة في أيامنا : كلّما ضعف إيمان الزعيم بما بشّر به بدت عقيدته من خلال أقواله جوفاء ، ليس فيها ما يستهوي الناس ، وكلّما استرسل في التمويه على أنصاره ازدادت مطالبه منهم إلى أن ينتهي به الأمر إلى التضحية بآخر ما بقي له من مقوّمات الزعامة لينقلب سياسياً محترفاً ، هذا الصنف من الناس الذي له عقيدة واحدة هي انعدام العقيدة مع وقاحة مزعجة وتفنّن في الكذب .

كلّها من يتقدّم الصفوف ليضحي بنفسه في سبيل إنقاذ الأمّة بخطوة جريئة .

ولا ينتظرن أحد هذه الخطوة من جانب الأكثرية ، فالأكثريّة لا تمثّل إلاّ البُلْه والجبناء ، وإذا صحّ أنّ مئة دماغ أجوف لا يمكن أن تعادل عقلاً واحداً ، فمئة جبان لا يمكن أن يصدر عنهم قرار بطولي . هذا مع العلم أنّ إحجام رئيس الحكومة عن مواجهة مسؤولياته يشجع العديد من النواب ، حتّى من كان منهم ضئيل الشأن ، على التطلّع إلى مركز الصّدارة ، وتراهم ينتظرون دورهم بفروغ صبر ، ويعدون الساعات التي تباعد بينهم وبين الهدف . وإذا قيّض لواحد منهم الوصول وتشبّث بالكرسي يتنكّر له رفاق الأمس ويقلبون له ظهر المجن . أمّا إذا استلّ الكرسيّ من تحته فإنهم يرحبون به ويفسحون له مكاناً في صفوفهم ، صفوف المنتظرين ، المترقبين .

وهكذا لا تقع العين إلا على تعاقب الطامحين إلى المناصب والوظائف المرموقة في الدولة ، تعاقباً خاطفاً ، وإذا قيّض للبلاد رئيس ذو سجيّة وأراد أن يصلح الحال ، قام في طريقه سدّ منيع من الوصوليين والانتهازيين الذين يوجسون خيفة من كل إصلاح ، لأنّه يقصيهم ويضع حدّاً لمفاسدهم .

أجل كان المتربّع على العرش يعين رؤساء الوزارات ، ولكنّه كان يتقيّد عند تعيينهم ، بنتائج الاستشارات ، أي أنّه كان ينفّذ رغبات الأكثرية البرلمانيّة . أمّا سوق المساومات عند تسمية الوزراء وتوزيع الحقائب فحدّث عنها ولا حرج ، إنّها مظهر ملازم للديموقراطيّة الغربيّة ، أمّا النتائج فما كانت قيمتها لتختلف عن قيمة المبادىء نفسها .

عند تشكيل الوزارة كان المسؤولون يحرصون على تسمية رديف لكلّ وزير بحيث يذهب هذا ويحلّ محلّه رديفه في أقرب فرصة ، وهكذا يرضى جميع الطامحين ، ويخرس المشاغبون والمناورون ممّن يتعمّدون وضع العصيّ في عجلات الآلة الحاكمة ، لأنّهم ليسوا في عداد الحاكين ، أو لأن الحكومة لا تساير مصالحهم الخصوصيّة .

البرلمان صراعاً بين النمسويّين الألمان وبين سائر العناصر التي تتحالف ضدّه . ممّا يوازي تحالفها ضدّ الأمبراطورية نفسها ، لأن الملكيّة لم تكن قادرة ، بدون النمسويّين الألمان ، على مجابهة النزعات الانفصالية في البلاد .

في ذلك الحين ، أي في مطلع القرن الحالي ، لم يبق ضعف الدولة خافياً على أحد . وبدا على الولايات السلافيّة ، كما بدا على هنغاريا ، أن هذه الظاهرة تفرحها لأنّها تقرّبها من أهدافها القوميّة . ولم يفت البرلمان أن الحالة بلغت من الخطورة حدّاً لا يجوز تجاهله ، فحاول تأخير النهاية المحتومة بتنازلات مخزية ، متراجعاً أمام حملات « الشانتاج » ، وكان العنصر الألماني هو الذي يدفع الثمن في النهاية ، لأن ترضية العناصر الناقمة كانت تتمّ على حسابه .

وبعد أن سمّي الأرشيدوق فرنسوا فردينان وليّاً للعهد ، وأضحى في مركز يتيح له التدخّل على نطاق واسع ، طرأ على سياسة استرضاء الهنغاريين والسلاف تحوّل خطير ، موجّه في معظمه ضدّ الألمان ، وتبلورت سياسة « إيثار التشيك » ونُسّقت تنسيقاً مدروساً ، وما عتّم وليّ العهد أن انغمس في سياسة القضاء على الطابع الجرماني للدولة بإبعاد الألمان عن الوظائف المفاتيح وبإلحاق الدساكر والقرى الألمانية بمناطق تقطنها عناصر مختلطة . وسرعان ما طغى العنصر السلافي في النمسا السفلى وفي فيانا نفسها التي بات يعتبرها التشيك مدينتهم الكبرى .

كانت تجول في رأس فرنسوا فردينان فكرة رئيسيّة أوحت بها إليه زوجته (وهي تشيكية تنتسب إلى محيط من تقاليده محاربة النزعة الجرمانيّة) وهذه الفكرة هي إنشاء دولة سلافيّة في أوروبا الوسطى ، تقوم دعائمها على أسس المبادىء الكاثوليكيّة ليتسنّى لها أن تقف في وجه روسيا الأرثوذكسيّة . وهكذا أراد آل هابسبورغ تسخير الدين في خدمة أغراضهم السياسية .

ولكن الفكرة لم تتحقّق ، بل كانت النتيجة أن خسر هابسبورغ عرشه وخسرت الكنيسة الكاثوليكية دولة عظمى . ذلك أنّ التاج بتسخيره

البرلمانيّة ، فما إن يشعر أعضاء حزب ما بنقمة الرأي العام على حزبهم حتى يأخذوا بالتسلّل منه الواحد بعد الآخر : إنّ الجرذان البرلمانيّة تهجر سفينة حزبها المشرفة على الغرق .

إنّ الخطب التي لفظها النواب الألمان في البرلمان النمسوي كانت بمثابة درر ألقيت إلى حيوانات ، وذهب هباء كلّ ما قالوه ، لأن الأكثرية قد وضعت في أذنيها وقراً .

أمّا الصحافة فكثيراً ما كانت تتجاهل أقوال النواب الألمان وخطبهم ، وإذا نشرتها تعمدت تقطيع أوصالها وتشويه معانيها أو أثبتت منها فقرات تلقي ظلاً من الشكّ على نيّات الحزب ومقاصده .

ولكن كان هناك ما هو أدهى وأمرّ .

كان على حركة الوحدة الجرمانيّة أن تدرك ، منذ اللحظة الأولى ، أن قيامها بشكل حزب جديد من شأنه أن يباعد بينها وبين النجاح ، وأن نجاحها يكون مضموناً إن هي استوت على صعيد العقائد الفلسفية ، ذلك أنّ كلّ حركة قوميّة تحتاج إلى قوّة كافية تتيح لها الاندفاع باستمرار ، وهذه القوّة تُستمدّ دائماً من المفاهيم الفلسفيّة للحركة .

والعقيدة الفلسفيّة لا تشقّ طريقها الحافل بالأشواك إلاّ إذا حمل لواءها زعماء شجعان ، قادرون على البذل ، مستعدون للتضحية ، فإذا لم يقيّض لها زعماء من هذا الطراز فلن يتجنّد لخدمتها والذود عنها مناضلون يمشون إلى لقاء الموت غير وجلين .

وقبل وضع العقيدة في متناول الجميع يجب إفهامهم صراحة أن الحركة الجديدة ستحمل للأجيال الطالعة السعادة والازدهار والعظمة ، ولكنها قد لا تعطي شيئاً في الوقت الحاضر ، لأنّ كلّ حركة تلوّح للناس بالوظائف والمراكز السهلة التناول ، لا يلبث أن يجتاحها الوصوليون والانتهازيون . ولا بدّ أن يأتي يوم يتسلّط فيه هؤلاء على الحزب بفضل وفرة عددهم ، فيصبح المناضل

كان الحزب الألماني (أو حركة الوحدة الجرمانيّة) على حقّ في إيمانه بالبعث الألماني في النمسا، ولكنّه لم يوفّق في اختيار الوسائل. كان حزباً قومياً ولكنه لم يعتمد في القضيّة الاجتماعيّة نهجاً يجذب إلى صفوفه سواد الشعب، أما عداوته للساميّة فقد كان يرتكز على فهم تام لمسألة الأعراق، بيد أن الحرب التي أعلنها على طائفة دينيّة معيّنة كانت غلطة تكتيكيّة لا تغتفر.

لم يكن للحزب المسيحي الاشتراكي هدف قومي واضح، ولكنه أحسن اختيار وسائله كحزب سياسي، فأدرك أهميّة المسألة الاجتماعيّة. أما حركته ضدّ اليهود فقد جاءت نتائجها مخيّبة للآمال، وكانت كذلك نتائج جهوده الرامية إلى إنقاذ النمسا باستبعاد مسألة القوميّات.

ولو قرن الحزب المسيحي الاشتراكي تفهّمه المسألة الاجتماعيّة بنظرة مجردة إلى قضية الأعراق والقوميّات، لانقلب حزباً قومياً شعاره تغليب الطابع الجرماني في البلاد على كلّ طابع آخر. ولو قرن حزب الحركة الجرمانيّة تفهّمه للمسألة اليهوديّة وقضيّة القوميّات بنظرة جدّيّة إلى المسألة الاجتماعيّة لشهدت النمسا حركة لها شأنها في تقرير مصير الدولة...

لم أجد في أي من الحزبين تجسيداً للفكرة التي بلورتها الأيام والتجارب في أعماق نفسي، لهذا لم أساهم في الحركتين اقتناعاً مني بأنهما عاجزتان عن بعث النزعة الجرمانيّة في دولة أولت التاريخ ظهرها لتمسخ نفسها دولة سلافيّة.

وقد ازدادت كراهيّتي لآل هابسبورغ تبعاً لازدياد اهتمامي بالشؤون العامة وبالقضايا السياسيّة، ورسخ في ذهني أن دولتهم المتفسّخة ستكون وبالاً على الألمان، وأن مصير الأمّة الألمانيّة لن يتقرّر في النمسا بل الريخ هو الذي يقرّره لأنه مؤهّل للاضطلاع بهذه المهمّة سياسيّاً واقتصاديّاً وثقافياً.

وفي الوقت نفسه بدأت أكره النمسا نفسها بعد أن استحالت متحفاً للقوميّات المتنافرة، وتنكّرت لتاريخها المجيد، وخيّل إليّ في وقت ما أنني

السلافي . وقد آلم هذا الفريق من ألمان النمسا أن تسقط الدبلوماسيّة الألمانيّة والرأي العام الألماني هذه الاعتبارات من حسابهما وأن يقفا موقفاً مجافياً للحكمة من مسألة القوميّات في البلد الحليف مجازفين بمقدّرات شعب من سبعين مليوناً وذلك بجعل مستقبله وسلامته منوطين بميثاق معقود مع سلطة لا تتورع عن إبادة رعاياها الألمان ، أي الأساس الوحيد الذي يمكن أن يقوم عليه الميثاق .

ولو عادت برلين إلى التاريخ ودرست نفسية الشعوب لما دار في خلدها لحظة واحدة أن الكيرينال والقصر الأمبراطوري في فيانّا يمكن أن يقاتلا جنباً إلى جنب . فالشعب الإيطالي لم ينسَ ولا يمكن أن ينسى موقف آل هابسبورغ من وحدة بلاده واستقلالها . ولن تجرؤ حكومة إيطالية على إرسال جندي واحد إلى القتال ما لم تكن الرصاصة موجّهة إلى الدولة الهابسبورغية . ولئن تكن روما قد انتظمت في الحلف الثلاثي فعن رغبة منها في كسب الوقت وتضليل خصمها التاريخي ، بحيث يركن إلى المواثيق المعقودة بينما تستعدّ هي للحرب .

حقّاً إن سياسة المحالفات التي أخذت بها ألمانيا منذ أن ساءت العلاقات بين النمسا وروسيا ، قد بنيت على الأوهام والافتراضات الخاطئة .

لماذا حرصت ألمانيا في مطلع القرن العشرين على أن يكون لها حلفاء ؟ لقد حداها إلى اعتماد هذا النهج شعورها بالحاجة إلى أصدقاء يمكن الاعتماد عليهم إذا لم يكن من الحرب بدّ لتوفير رفاهية الشعب الألماني .

لقد كان على المسؤولين الألمان أن يواجهوا ، سنة بعد سنة ، مشكلة تزايد عدد السكّان (٩٠٠ ألف كل سنة) وهذا التزايد المطّرد يهدّد البلاد بكارثة إذا لم يواجه بتدابير فعّالة تقطع الطريق على المجاعة . وكان ثمّة وسائل أربع يمكن الأخذ بها :

أولاً : تحديد النسل منعاً لتضخم عدد السكان ، على نحو ما هو جار

على شعبنا أن يهتمّ بمستقبله ! أجل لولا نضال الأجداد وعنادهم الصلب لما قامت للرّيخ قائمة .

وثمّة اعتبارات أخرى تجعل من التوسّع الطريقة الفضلى :

لبعض الدول الأوروبيّة في أيّامنا شكل أهرام مرتكزة على رؤوسها ، ومساحة هذه الدول صغيرة جداً بالنسبة إلى مساحة ممتلكاتها خارج القارة ، وإلى تجارتها الخارجيّة المزدهرة الخ . . . ويمكن القول إن قمة هذه الأهرام هي في أوروبا أمّا قاعدتها ففي العالم كلّه ، وهو خلاف المشاهد في الولايات المتحدة الأميركية التي تقوم قاعدتها على أرضها ولا يقوم تماسّ بينها وبين العالم الخارجيّ إلاّ بواسطة القمة، وهذا ما يكفل لهذه البلاد مركزاً داخلياً منيعاً تحسد عليه ، بينما يسبب عكسه ضعف معظم الدول الاستعمارية في أوروبا .

لا تشكّل إنكلترا دليلاً على عكس ما قلت ، لأن وضع هذه الدولة والوشائج التي تشدّها إلى العالم الانكلوسكسوني عموماً والولايات المتحدة على الأخصّ تجعل منها دولة أوروبيّة ذات مركز خاص ينتفي معه قيام أي شبه بينها وبين أيّة دولة أوروبيّة أخرى .

أمّا ألمانيا فالخطّة المُثلى التي تتيح لها أن تنهج سياسة توسّع سلميّة إنّما تقوم على إحراز مدى حيويّ لها في أوروبا نفسها لأن المستعمرات لا تصلح هدفاً للتوسّع ما لم تكن قادرة على استيعاب أكبر عدد ممكن من الأوروبيين، مع العلم أنّه لا يمكن الاستيلاء على مستعمرات لها هذه الميزة بالطرق السلمية ، وما دام الأمر يتطلّب حرباً قاسية ، فلتكن المحاولة في أوروبا نفسها بدلاً من المجازفة خارج القارة .

ومتى رسخت هذه الفكرة في الذهن ينبغي لشعبنا أن يكرّس لها جهوده . فليس بأنصاف التدابير وبالإحجام والتردّد يمكن القيام بمهمّة تتطلّب من كلّ منّا أقصى الجهد وأحزم الخطى . ولا بدّ من جعل سياسة الرّيخ منسجمة انسجاماً تاماً مع هذا الهدف الأسمى ، فيعاد النظر على ضوئه في سياسة

أدولف هتلر (الأول من اليمين) عندما كان جندياً بسيطاً تابعاً لفيلق المتطوعة عام ١٩١٦

« الهون » كانت تُعِدّ الجندي للثبات بعناد والتأهّب نفسانياً وجسدياً للمفاجآت المزعجة بحيث يكون بمأمن من الأوهام . فلمّا وجد في الألمان مقاتلين شديدي المراس ، وفي سلاحهم أداة فتك رهيبة ، أيقن أن حكومته لم تخدعه واقتنع بأن الألمان برابرة ، لا يقلّون همجية عن قبائل « الهون » .

وهكذا وثق الجندي الإنكليزي بحكومته وقام في ذهنه منذ الأسابيع الأولى للحرب أن رؤساءه لا يمكن أن يخدعوه أو يكتموا عنه الحقائق مهما تكن جارحة . ولم يكن هذا مع الأسف رأي الجندي الألماني في حكومته ، وقد انتهى الأمر بهذا الجندي إلى اعتبار كلّ ما تذكره بلاغات قادته تضليلاً ونفاقاً . أما إخفاق الدعاوة الألمانيّة فمردّه في الدرجة الأولى إلى إغفال القائمين بها شأن البسيكولوجيا والاعتبارات البسيكولوجية وإلى تقصيرهم عن إدراك أهميّة التشديد على إبراز موقف ألمانيا في شتّى الحقول دون إجراء مقارنات بين موقفها ومواقف الدول المعادية . أليس من السذاجة أن يعلن معمل عن صابونه الجيد ويذكر في الإعلان أن صابون المعامل الأخرى جيد هو الآخر !

كانت دعاوتنا تقوم على هذا الأساس . وقد فات القائمين بها أن الغرض منها ليس توزيع الحقوق على الفرقاء بالعدل والقسطاس بل الغرض منها التشديد على حقوق الفريق الذي تعمل الدعاوة لحسابه ولمصلحته . وفاتهم كذلك أن الدعاوة ليس مطلوباً منها أن تتحرّى عن الحقائق المجرّدة ، إذا كان إظهار هذه الحقائق يخدم مصلحة الخصم ، ثم مطالعة الجماهير بها بدافع من الحرص على قول الحق ، إنّما يطلب من الدّعاة أن يبرزوا الحقائق التي يخدم الإعلان عنها مصلحة دولهم .

لقد وقعت دعاوتنا في خطإ جسيم عندما انبرت تؤكّد أنّه لا يجوز تحميل ألمانيا وحدها تبعة جرّ العالم إلى الحرب ، وأن العدوّ يتحمّل قسطه من التبعة . ذلك أن السواد الأعظم من الشعب لا يتألف من الدبلوماسيين وأساتذة الحق العام ، ولا حتى من الذين تمكنهم إصدار حكم معقول ، فالسواد الأعظم

بالترداد المستمر .

وقد رأينا الأعداء طيلة أربع سنوات ونصف سنة يواظبون على طرق موضوع أساسي واحد إلى جانب عدد محدود من المواضيع الأخرى ، وبدت لنا دعاوتهم في البدء سلسلة أكاذيب فاضحة ، ثم اعتبرناها تضخيماً للحوادث والأشياء بقصد التضليل ، وانتهى بنا الأمر أخيراً إلى تصديقها . فاندلعت في ألمانيا نيران ثورة أخذت شعارها من الدعاوة المعادية .

لقد اعتبر الإنكليز الدعاوة سلاحاً أساسياً فجندوا لها الرجال الأكفاء ، وبذلوا المال بسخاء ما بعده سخاء ، فكان التوفيق حليف دعاوتهم .

أما نحن فقد اعتبرناها سلاحاً ثانوياً وعهدنا بها إلى نفر من الساسة المتعيشين وحملة الأقلام البعيدين عن عقلية الجماهير ، فكانت نتيجة جهودنا في هذا الحقل صفراً . . .

التحدّث عنه: عادت إلى تأكيد حصوله في غضون أشهر معدودة ، وعملت في الوقت نفسه على إحلال الطمأنينة والثقة في النفوس محل القلق والتشاؤم . ولم تلق الدعاوة المعادية كبير عناء في إقناع الجيوش المتحالفة بأن مصير الحرب لن يقرّره الهجوم الألماني ، بل تقرّره مقاومة هذا الهجوم بعناد واستمرار ، فليحرز الألمان من الانتصارات ما يحلو لهم ، فالكلمة الفصل ستكون لمن يثبت في اللحظة الأخيرة .

هذا ما عملت الصحافة في فرنسا وإنكلترا وأميركا على ترسيخه في أذهان قرائها ، بينما كانت الدعاوة النيّرة تعمل على رفع معنويّات الجيوش في الجبهة .

« ألمانيا تتمخّض بثورة ، انتصار الحلفاء مؤكّد ! » بهذا الدواء الفعّال استطاعت الدعاوة المعادية أن تتدارك جنودها المترنّحين من فرنسيين وإنكليز ، فوقفوا على أرجلهم وزايلت الرعشة أيديهم ، واشتدّت منهم المقاومة بعد أن كاد اليأس يشلّ منهم كلّ نشاط .

لقد ترتّب على نتيجة إضراب عمال مصانع الذخيرة في ألمانيا انتعاش أمل الحلفاء بالنصر وتقلّص ظلّ اليأس المثبّط للعزائم من صفوف المقاتلين ، ولئن يكن الجانب الألماني قد وفق إلى الخروج من هذه النكسة سليماً ، ولو في الظاهر على الأقلّ ، فقد كانت فائدة العدوّ من الحوادث التي كانت بلادنا مسرحاً لها أعظم من أن تقدّر ، وساد في أذهان المراقبين أن صمود الحلفاء بضعة أشهر أخرى من شأنه أن يقلب الحظوظ ويضمن لهم النصر .

• • •

كان لي شرف الاشتراك في الهجومين الأولين وفي الهجوم الأخير . ولن يمكنني نسيان التظاهرات الحماسيّة التي رافقت انتقالنا من الدفاع إلى الهجوم بعد أن سلخنا أكثر من ثلاث سنوات في جحيم الانتظار : انتظار يوم الحساب . وقد عاد بنا هجوم ربيع ١٩١٨ إلى جو خريف ١٩١٤ ، فانطلقت كتائبنا المظفرة

الرف لأن العمران كان آخر ما يخطر ببال الناس في تلك الفترة العصيبة .

قررت الاشتغال بالسياسة واضعاً نصب عيني إنقاذ ألمانيا من عدوين : الماركسية واليهودية . وقد كان غليوم الثاني أول امبراطور ألماني مدّ يده إلى زعماء الماركسيّة وقد فاته أن المُخادع لا يُركن إليه . لقد صافحوا غليوم بيد بينما كانت الأخرى تتحسّس الخنجر .

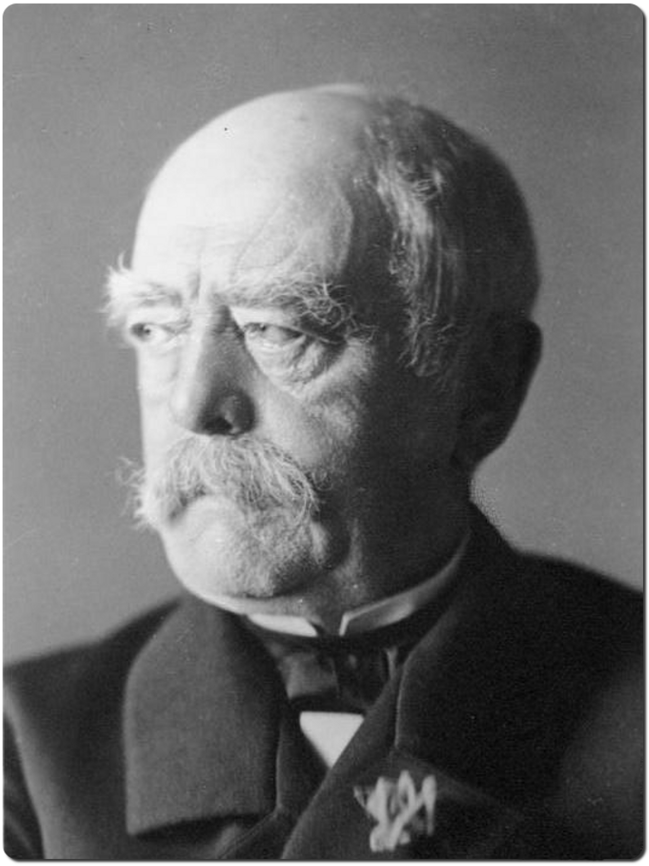

بسمرك المستشار الحديدي الذي حقق الوحدة الألمانية

مصلحة العرق المتفوّق، فالدم الآري الذي كان يجري في عروق أجدادنا كان آرياً صرفاً ، فهل نستطيع الجزم بأن ما يجري في عروقنا هو دم آري صرف ؟

يجد القارىء الجواب في فصل آت . وقد يجده من تلقاء نفسه إن هو أنعم النظر قليلاً في حالة ألمانيا قبل نشوب الحرب ، وراقب تطوّر الأحداث الداخليّة . ألم يكن من دواعي الدهشة والاستغراب أن يزداد عدد النواب الماركسيّين بعد كلّ انتخاب ، وأن يجدّد الشعب الألماني ولاية الذين عملوا على إضعاف الجيش والأسطول وحاربوا مبدأ الخدمة العسكرية الطويلة الأمد ، ورفضوا إقرار الاعتمادات الضخمة التي رصدتها الحكومة للتسلّح ؟

أيعقل أن يضع الشعب الألماني يده في أيدي أعداء نهضته ، وأن يشدّ أزر الذين تطوّعوا لإفقاره وإذلاله ؟

ومتى كان الألماني ، الألماني الحقيقي ، يضحّي بمصالح أمّته في سبيل مبدإ هوائي كالسلام العام هو من مبتكرات اليهود والماركسيّين؟ أكاد أجزم بأن الذين مكنوا الماركسية وجعلوا أنفسهم مطيّة لليهود ولمحترفي السّياسة لا يمكن أن يكونوا مواطنين يجري في عروقهم الدم الألماني النقي .

أمّا الانتفاضة الأخيرة التي انتفضها شعبنا في العام ١٩١٤ ، فقد حملته عليها غريزة حبّ البقاء ، لأن السموم الماركسية قد شلّت منه الإرادة ، فمشى إلى لقاء أعدائه وهو ضعيف الإيمان بالنصر ، وجاءت الهزيمة توقظه من سباته وتقضي على مفعول المخدر ، ولكن الثورة قطعت على عناصر البعث والنهضة الطريق ، فلم يبقَ أمام هذه العناصر إلا أن تعمل على هامش العهد الجديد لإنقاذ شعبنا من براثن المضللين المفسدين ، وعلى وضع الأسس السليمة التي يجب أن يقوم عليها صراع الدولة الجديدة، الدولة الجرمانية للأمة الألمانيّة ، حيث يسود العنصر المتفوّق، ولا يفسح في مجال النشاط البنّاء لغير الآريين الحقيقيين.

ولن يكون لليهودي وصنيعه الماركسي مكان في الدولة الجديدة وفي كنف النّظام الجديد .

تسمح بالتناسل إلاّ للذين تنتخبهم هي من بين الأصحّاء والأقوياء .

وإذا كانت الطبيعة تأبَى على الضعفاء والأقوياء أن يتزاوجوا ، فإنها تحارب دون هوادة اختلاط عرق متفوّق بعرق وضيع ، لأن هذا الاختلاط يعود بالبشريّة القهقرى ، والتاريخ يقدم إلينا شواهد لا حصر لها على صحة هذه النظريّة . ومن عبره أن امتزاج دم الآري بدم شعوب وضيعة قد أدى دائماً إلى خراب الشعب ذي الرسالة التمدينيّة ، فأميركا الشماليّة ، التي يتألّف سكانها من عناصر جرمانيّة بأكثريّتها لم تختلط إلا بمقدار بالشعوب الملونة ، هي ذات حضارة تختلف اختلافاً بيّناً عن حضارة أميركا الوسطى والجنوبيّة حيث ينتمي معظم الذين هاجروا إليها إلى العنصر اللاتيني وقد امتزجوا بالسكان المحليين دون تحفظ .

وهذا المثال وحده كافٍ لإظهار عواقب اختلاط الأعراق ، فالجرماني الذي حافظ على دمه نقيّاً أضحى سيّد القارّة الأميركيّة ، وسيظلّ هذا شأنه ما دام محافظاً على طابعه الخاص .

ومجمل القول إنّ كلّ اختلاط بين الأجناس يفضي إلى :

١ – تدنّي مستوى الجنس المتفوّق .

٢ – تأخر مادي وروحي يفضي في النهاية إلى التفسخ والانحلال .

واختلاط كهذا يشكّل تحدّياً لإرادة الخالق ، وتحدياً لمنطق الطبيعة . وهنا ينبري الاعتراض اليهودي المضحك والسخيف « ولكن الإنسان قادر على قهر الطبيعة » . ما أكثر الذين يردّدون هذه السخافة ، وقد فاتهم أن الإنسان لم يقهر الطبيعة بعد في أيّ من الميادين . وكلّ ما فعله حتى الآن هو رفع جانب من الستار الضخم الذي تخفي وراءه أسرارها السرمدية . والإنسان ما اخترع شيئاً قطّ ، ولكنه اكتشف ما توصّل إلى معرفته ، وهو لا يسود الطبيعة ، إنما تمكّن بفضل اكتشافه بعض الأسرار الطبيعيّة المنعزلة ، من السيطرة على كائنات حيّة لم توفّق إلى ما وفّق إليه .

لم يكن محض اتّفاق نشوء الحضارات الأولى حيث صادف الآري شعوباً منحطّة بالنسبة إليه هو ، فسيطر عليها وأخضعها ، وكانت بين يديه الأداة التكنيكيّة الأولى في خدمة حضارة ناشئة . واتّضحت من ثمّ معالم الطريق الذي كان على الآريّ أن يسلكه . فقد أخضع الأعراق ووجّه نشاطها التوجيه الملائم لأهدافه . ولكنّه عمل ، وهو يفرض عليها نشاطاً نافعاً وإن شاقاً ، على تحسين مصيرها ورفع مستواها . وكان على الآري أن يحافظ على وضعه بصفة كونه السيّد المطاع ليظلّ هذا السيّد وفوق ذلك المهيمن على الحضارة التي أنشأها وأنماها لأن بقاء هذه الحضارة وازدهارها هما رهن ببقاء الآري هو إيّاه . ولكنّه لم يعرف كيف يحافظ على وضعه ، فما إن تحسّن مستوى السكّان الأصليين حتى انهار الحاجز الفاصل بين السادة والخدم وأغفل الآري أمر الحفاظ على دمه نقيّاً ، ففقد بذلك حقّ الاستمتاع بمغاني الفردوس الذي أنشأ ، وفقد كذلك مواهبه المبدعة ، وانتهى به الأمر إلى محاكاة السكان الأصليّين شكلاً وتفكيراً ، ثم فعل الانحلال فعله ولفّت عجلة الزمن الحضارة التي أوجدها .

هكذا تنهار الحضارات والأمبراطوريات ، تاركة مكانها لمحاولات جديدة .

إنّ تدنّي مستوى الأعراق هو النتيجة الحتمية لاختلاطها بشعوب لم تبلغ مستواها . وهذا الاختلاط هو الذي سبب انهيار الحضارات القديمة وزوالها . فالحروب الخاسرة لا يترتّب عليها فناء شعب من الشعوب ، إنّما يفضي إلى هذه النتيجة زوال قوّة المقاومة التي كانت ولا تزال وستبقى من خصائص الدم النقي .

• • •

نجد غريزة حبّ البقاء وحفظ النوع وراء كلّ حدث من أحداث التاريخ ، وإذا تحرّينا الأسباب الحقيقيّة لتفوّق الآري نجد أن تفوّقه مبعثه الشكل الخاصّ

لا يستوحي في هذا كلّه إلا الأنانية الضيّقة . وإذا استطاع « الشعب المختار » يوماً أن ينشىء الدولة اليهودية – الجهاز الحي المعدّ لحفظ العرق وإنمائه – فستكون دولته غير ذات حدود ، لأن تحديد تخوم دولة ما يفترض وجود مثالية لدى العرق الذي ينشئها كما يفترض أن يكون مفهومه للعمل قائماً على تقدير صحيح ، فإذا انعدم هذان الشرطان يكون مصير المحاولات الرامية إلى إيجاد دولة ذات حدود إلى الإخفاق الذريع لأن الدولة تظلّ مفتقرة إلى الأسس التي تشاد عليها الحضارة .

• • •

ليس للشعب اليهودي إذن ، بالرغم من مواهبه ، حضارة حقيقية خاصّة به ، فالحضارة اليهوديّة ، أو التي تبدو لنا كذلك ، هي ملك شعوب أخرى ، تلقفها « الشعب المختار » وشوّه أكثر معالمها .

ولكي ندرك وضع اليهود حيال الحضارة البشريّة ينبغي لنا أن نضع نصب أعيننا الحقيقة الآتية :

لم يعرف العالم قطّ شيئاً اسمه « الفنّ اليهودي » ، وليس لليهود أيّ فضل على الفنين الأعظمين : الموسيقى والهندسة ، وإنتاجهم في حقل الفنون ليس سوى نقل أو تقليد أو سرقة . وليس أدلّ على صحة هذا القول من تسابق الكتّاب اليهود إلى تعهّد الفنّ الذي لا يتطلب إلاّ اليسير من الابتكار ، عنيت الفن المسرحي . وحتّى في هذا الحقل يظلّ اليهودي مقلّداً شأنه شأن القرد ، وهل ينتظر ممّن يعجز عن الإبداع أن يحلّق مجارياً العباقرة ؟ ولكن الصحافة اليهوديّة المضللة لا تألو جهداً في سبيل رفع حثالة الفنانين اليهود إلى مصفّ أسياد الفنّ ، فتراها تكيل المديح للمقلّدين من أبناء « الشعب المختار » لتدخل في روع الجمهور أنّه أمام عباقرة حقيقيّين .

لا ، ليست لليهودي القدرة على الخلق والإبداع ، وليست له بالتالي القدرة المثالية التي بدونها لا يمكن أن يتطوّر الإنسان ويرتقي . أمّا ذكاؤه

ما علق بالأذهان حول استحالة قيام حركة جديدة قادرة على الوقوف في وجه الماركسية والتغلّب عليها .

٢ – لا يصار إلى إنشاء شعب محلية ما لم ترسخ سلطة المركز في ميونيخ .

٣ – لا يصار إلى إنشاء فروع إقليميّة ما لم تتوفّر الأدلّة الكافية على خضوع الأنصار للمركز الرئيسي وتقيّدهم بتعليماته . هذا مع العلم أن إنشاء مراكز إقليميّة يتوقف على توفر العدد اللازم من الأفراد الذين يمكن أن يعهد إليهم الحزب بإدارة هذه المراكز . فإذا كان الحزب يملك الوسائل الماليّة اللازّمة عمل على اجتذاب الأفراد الأذكياء وتنشئتهم التنشئة التي تؤهلهم للقيادة . وهذه الطريقة عملية وسهلة ، ولكن الذين ينتدبون لإدارة الفروع الإقليمية ينفكون عن أعمالهم العادية ، فعلى الحزب والحالة هذه أن يدفع لهم رواتب من صندوقه ، أما إذا كانت ماليّته لا تسمح له باستخدام رؤساء – موظّفين ، فإنّه يعهد بإدارة الفروع إلى رجال لا يضنون على الحركة بجهد أو وقت أو مال .

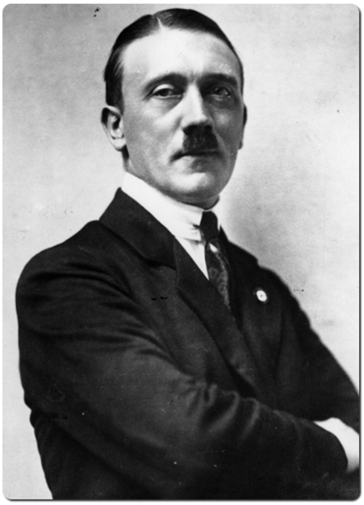

أدولف هتلر عام ١٩٢١

قبل إنشاء الفرع يجب اختيار رئيسه ، فإذا تعذّر وجوده فالأفضل أن يترك الفرع بدون رئيس أو أن يترك الإقليم أو المنطقة بدون فرع ، لأن الرئيس غير الكفوء كالقائد الأحمق لا يتقن وضع الخطط ولا يحسن تنفيذها .

• • •

إن مصير حركة سياسية ما هو رهن بتعصب أنصارها لها وباعتبارهم

الشائع لا تزال تعبيراً مطاطاً ينطوي على أكثر من مدلول . ولا تصلح بالتالي أساساً لعمل نضالي مشترك قبل تحديد معناها تحديداً ينتفي معه كلّ لبس . واستطعت بالنتيجة إقناع زملائي بجعل العنصرية القاعدة الرئيسية التي تقوم عليها حركتنا بعد اتفاقنا حول تحديد مهمة الدولة وحول مدلول العنصريّة نفسها كمفهوم فلسفي .

ذلك بأن بعض المفاهيم الفلسفية الشائعة اليوم يعزو إلى الدولة طاقة الإبداع والتمدين ويذهب إلى أن الدولة هي وليدة ضرورات اقتصادية،وفي بعض الحالات الفضلى ، وليدة نشاط القوى السياسية . وهذا المبدأ الأساسي يجر حتماً إلى تجاهل القوى البدائية المرتبطة بالعنصر وإلى الانتقاص من قيمة الفرد .

الامبراطور غليوم الثاني

ترتعد لها في البدء فرائص الضعفاء – ستكون الإشارة التي يرقب صدورها المناضلون ليتجمعوا . وليعلم الوطنيون الاشتراكيون أنه متى اتحد عدد من الرجال متحلّين بالعزم والقدرة الفاعلة ، متحرّرين من كلّ ما يقعد بالسواد عن الحركة ، واضعين نصب أعينهم هدفاً معيّناً ، فلن يلبث هؤلاء الرجال أن يقبضوا على زمام القيادة . فتاريخ العالم قد صنعته الصفوة ، أي الأقليّة ، في كلّ مرّة كانت الأقليّة من حيث العدد مجسدة للإرادة والإقدام .

تتكفّل الطبيعة بتدابير مناسبة لتصحيح نتائج الاختلاطات التي تعكر نقاء الأجناس البشرية ، فهي قلّما ترحم المخضرمين ولا سيما السلالات الأولى حتى الجيل الخامس ، وتجردها من الميزات التي كانت للعنصر البدائيّ المتفوّق الذي كان شريكاً في الاختلاط . ناهيك بما يترتّب على انعدام وحدة الدم من تضارب بين الإرادات والقوى الحيويّة . ففي الظروف الحرجة يتّخذ الإنسان ذو الدم الصافي قرارات حكيمة ومنسجمة ؛ أما المخضرم فإنّه يفقد توازنه والسيطرة على أعصابه ؛ وينتهي به الأمر إلى الخضوع للإنسان ذي الدم الصافي ؛ ويكون في الغالب عرضة للزوال السريع .

ولا تكتفي الطبيعة بهذا النوع من العقوبة ، ففي الكثير من الحالات تضرب الاختلاطات بالعقم فلا تلبث أن تنقرض ، فإذا اتّحد فرد متحدّر من عنصر متفوّق بفرد ينتمي إلى عنصر وضيع ، تكون أولى نتائج هذا الاختلاط تدنّي مستوى السلالة تدنياً مطرداً إلى أن يأتي يوم يزول فيه كل أثر للعناصر البدائيّة المتفوّقة ، ويقوم شعب جديد ذو مؤهلات لا بأس بها ، ولكنّه يظلّ دون العرق المتفوّق الذي اشترك في الاختلاط الأول . فإذا واجه هذا الشعب شعباً متفوّقاً ، عرف كيف يصون دمه نقيّاً ؛ فالغلبة تكون لهذا بفضل حضارته السليمة واللحمة التي توحد بين عناصره .

وفي بعض الحالات تلجىء ظروف قاهرة شعباً من الشعوب المتفوّقة إلى الاختلاط بشعب أو شعوب وضيعة نسبياً . ولكن ما إن تزول هذه

أو عاهته مخلوقاً بريئاً . إن البشرية قادرة على إنقاذ نفسها باعتمادها هذا النهج خلال بضعة قرون وكذلك الدولة التي نريد إنشاءها على أساس عنصري سليم . فإذا حيل بين المتفسخين والمرضى وبين التناسل وشجع الأصحاء في هذا الحقل، يتوفر لألمانيا عرق سليم من الشوائب والعاهات ، مهمته الأولى إتلاف بذور الانهيار المادي والمعنوي الذي يتهدد شعبنا في هذه الآونة .

ولتحقيق هذا الغرض يتعيّن على الدولة أن تخضع استعمار الأقاليم المكتسبة حديثاً لقواعد مدروسة فتؤلف لجاناً خاصة مهمتها الترخيص للأفراد بإنشاء مستعمرات ، ولا يعطى الترخيص إلاّ لمن يثبت انتماؤه إلى العرق المؤسس للحضارة ويثبت بالتالي بقاء دمه نقيّاً طاهراً . وهكذا تقوم شيئاً فشيئاً مستعمرات نموذجية على سواعد مستعمرين يمثلون العنصر المتفوّق ويتحلّون بسجاياه الفريدة ، ويؤلفون النواة الصالحة لشعب جديد .

يعود إلى الدولة العنصرية توفير مناخ النمو للجيل الجديد ، وعندها يكف البشر عن الاهتمام بتحسين نسل الخيل والكلاب ، لينصرفوا إلى تحسين النوع البشري ، وفي هذه الحالة يكون المجتمع قد بلغ من الرقي مبلغاً لا تحتاج معه الدولة إلى فرض رقابتها على عملية التناسل ، فغير الصالحين لهذه المهمّة يمتنعون من تلقائهم ، والصالحون يضطلعون بها بإخلاص وفرح .

يبدو هذا للقطيع البورجوازي حلماً مستحيل التحقيق . إنّه لكذلك بالنسبة إليهم وإلى عالمهم الذي لا قبل له بتحقيق المعجزات . فليس للبورجوازية من شاغل سوى الاهتمام بما يعود إليها ، وليس لها معبود سوى المال . وإني لأسأل الذين يقلبون الشفاه ويهزون الأكتاف للتدليل على ارتيابهم في بلوغ البشرية هذا الشأو : أليس في عالمنا اليوم آلاف الرجال والنساء ممّن امتنعوا عن التناسل وفرضوا على نفوسهم التبتّل خضوعاً منهم للشرائع الدينيّة ؟ فلم لا يكون ممكناً تبتّل المواطنين غير الصالحين للتناسل متى حلّ محلّ تعاليم الكنيسة ووصاياها إنذار توجّهه الدولة إلى رعاياها مهيبة بهم أن يضعوا حدّاً

الذات والتحفّظ فضائل ينبغي لكلّ شعب عظيم أن يتحلّى بها ، وستدعو المربين إلى ترويض التلاميذ على احتمال الألم والظلم بصمت ورباطة جأش ، لأن هذه السجيّة تجعل منهم في المستقبل جنوداً ثابتي الجنان ، قادرين على أداء الواجب في أحرج الظروف وأقسى الحالات .

• • •

سيكون من مهامّ التربية في الدولة العنصريّة العمل على إنماء قوّة الإرادة وروح الإقدام ومواجهة المسؤوليات .

في الماضي كان الجيش يأخذ بالمبدإ القائل : « الأفضل أن يصدر القائد أمراً ما من أن يحجم عن إصدار الأوامر . » وفي أيامنا يجب إفهام النشء أن الخوف من مواجهة المسؤوليات هو الذي عجل بكارثة ١٩١٨ . ففي كانون الأوّل من العام المذكور تخاذلت السلطات كافّة ، وأحجم الجميع ، من الأمبراطور إلى قائد الفرقة ، عن ممارسة صلاحياتهم وتركوا الزمام يفلت من أيديهم ؛ واليوم نجدنا عاجزين عن إبداء مقاومة جديّة لا لأنّنا لا نملك سلاحاً بل لأنّه تعوزنا الإرادة الحسنة . ألم يقل أحد القادة العسكريين : « أنا لا أقدم على خطوة ما لم أضمن لها النجاح بنسبة ٥١ بالمئة » ؟ إن الـ ٥١ بالمئة هذه تكشف لنا عمّا وراء الكارثة وانهيار ألمانيا . فالذي ينتظر من القدر أن يضمن له النجاح هو آخر من يحقّ له أن يزهو بنتيجة عمله ، وآخر من يجوز للدولة أن تعتمد عليه .

وغني عن القول إن ضعف الإرادة والإحجام والتهرّب من المسؤوليّة مبعثها سوء التربية وفساد الأسس التي تقوم عليها ، وإنّا لنلمس هذه العيوب في الذين تصدّوا لقيادة الأمّة ، حكّاماً وبرلمانيّين وعسكريين ورؤساء أحزاب ، وستولي الدولة العنصرية هذه الناحية عناية خاصة واضعة نصب عينيها تحرير الشعب الألماني من عوامل الضعف التي كانت أحد الأسباب المباشرة لانهيار ألمانيا.

• • •

وستدخل الدولة العنصرية على التعليم تعديلات ثلاثة تتناول الأمور الآتية :

ما ابتعد عن حظيرة البولشفيك وتنكّر هذا البعض لتعاليم كارل ماركس وجرّ معه من أمكنه إقناعهم. عندها قرّر الرؤساء رفع الحظر وأوعزوا إلى الحمر بأن يحضروا اجتماعات «المحرضين الملكيين والرجعيين ويفضوها بالقوة» فصار العمال يحتلون القاعات التي تعقد فيها اجتماعاتنا قبل الموعد بنصف ساعة، كانوا يدخلونها وفي نيتهم مقاطعة الخطباء وتحطيم المقاعد ويخرجون منها غالباً وقد بدأوا يرتابون بقيمة العقيدة الماركسيّة.

خيبت هذه النتيجة فأل الرؤساء وأسقطت من أيديهم مرة أخرى. لقد أباحوا للحمر حضور اجتماعات حزبنا وزودوهم بتعليمات صريحة: تعطيل كلّ اجتماع بشتى الطرق والأساليب، فكان أن زعزعت المبادىء الوطنيّة الاشتراكية إيمان العمال بالماركسية وحطمت الطوق الفولاذي الذي حشرهم ضمنه المغامرون الدوليون.

وعاد الرؤساء إلى التكتيك الأول: منع العمال من حضور اجتماعاتنا تحت طائلة الطرد، فحرك هذا المنع فضول الذين وقفوا حتى ذلك اليوم من حركتنا ونشاطنا المتزايد موقف اللامبالاة، فصاروا يغشون قاعاتنا سرّاً ولا يأتون حركة يشتمّ منها العداء لئلاّ يؤدي التصادم بيننا وبينهم إلى افتضاح أمرهم. وقد أتاح تحفظهم هذا للخطباء أن يبسطوا مبادىء الحزب في جوّ مؤات محررين عقول العديد من الألمان من أوهام نسجتها حولها اليهوديّة العالميّة بدقّة وإحكام.

ولقد لمسنا التكتيك الحائر نفسه في موقف الصحافة الحمراء من حركتنا. رأيناها تتجاهل هذه الحركة عندما اشتدّ ساعدها، فلمّا لم يؤت هذا الأسلوب ثماره عمدت إلى مهاجمتنا مختصة مبادئنا وأهدافنا بحقول طويلة من صفحاتها الأولى، فوجهت هذه الحملات الأنظار إلينا، فما كان من الصحافة الحمراء إلاّ أن عدلت لهجتها واجتهدت في الحطّ من شأن الحركة واصفة إياها بأنها سخيفة، لا تقوم على أساس علمي. ولكن «سخافة» حركتنا لم تمنع الصحف

لحزبنا بوضع حد لهذا التعاون المسيء إلى حركتنا الصاعدة ، وكانت حجتي أن حركة قوية تخسر الكثير بتعاونها وحركات أضعف منها ، ونبهت الأفكار إلى حقيقة ما كان يضمره زعماء المنظمات ، فقلت إنهم جماعة من المشتغلين بالسياسة ، استهوتهم فكرتنا، وبدلاً من أن ينضموا إلى حركتنا ويعملوا في

هتلر في موقف خطابي

قلت إن الحرب قضت على التوازن بين الفئات الثلاث ، فقد جادت النخبة بآخر نقطة من دمها الزكي وسقط الآلاف من أبناء الفئة المتوسطة بينما كان الأشرار يوفرون أنفسهم للثورة ويتحفزون لطعن ألمانيا في ظهرها . كان المسؤولون يذيعون من خطوط النار النداء تلو النداء والمناشدة تلو المناشدة مهيبين بالمواطنين القادرين أن يتطوّعوا لأداء مهامّ معينة ، كانوا يطلبون متطوّعة للعمل في الجبهة ، ومتطوعة للقيام بعمليات الاستطلاع ولنقل الأوامر عبر الخطوط ، ومتطوعة للمخابرات ومتطوعة للطيران ومتطوعة للغواصات إلخ . . . واستمرّ الطلب أربع سنوات ونصف سنة فكان يلبّي النداءات فتيان دون السابعة عشرة وكهول تخطوا عتبة الخمسين ، تحدوهم وطنيّة صادقة وتحفزهم شجاعة نادرة . وقد حصدت نيران العدو عشرات الألوف من هؤلاء الأخيار ، بينما كانت سهول الفلاندر تروى بدماء إخوانهم الذين أرسلوا إلى الساحة قبل أن يتدربوا على القتال التدريب الكافي ، فتلقفتهم نيران العدوّ فريسة سهلة .

إن الذين سقطوا في معارك ١٩١٤ والذين تساقطوا بعدهم كمتطوعة أو كمجندين هم أبناء الفئتين الخيرة والمتوسطة ، وهكذا اختلّ التوازن والحرب في إبانها ، لمصلحة الفئة الشريرة التي أتاح لها تراخي الحكام وعيوب نظام التجنيد أن تظلّ بمنجاة من الخطر ، فما إن أصيبت جيوشنا بالنكسة الأولى حتى شرعت هذه الفئة في لغم الجبهة الداخلية ، وعندما قامت بثورتها لم تعترض طريقها عقبة ذات شأن لأن البقية الباقية من العناصر الصالحة كانت أضعف من أن تقف في وجهها .

إن القول بأن ثورة ١٩١٨ كانت ثورة شعبية هو تجديف على الحقيقة ، فالشعب الألماني لم يثُرْ ولم يهبط إلى الدرك القاييني . إنهم أعداء الشعب ، من فراريين وانهزاميين وخونة ومضللين ، الذين استغلّوا الهزيمة أبشع استغلال ، بعد أن تسبّبوا بها .

دفاعية مجدية تواجه بها الإرهاب الأحمر . وقد ذكرت في فصل سابق أن حركتنا أنشأت وحدة صدام مهمتها الأساسية حماية اجتماعاتنا ، وبعد أن وسعنا دائرة نشاطنا جعلنا من الوحدة نواة ما سميناه « الحرس الخاص » ، ونحونا في تنظيم الحرس نحو المنظمات اليمينيّة التي عرفت باسم « منظمات الدفاع » . ولكن وجه الشبه لم يتعد التنظيم . فالمنظمات اليمينيّة كانت تعمل – كما تقدّم معنا – وليس لها هدف سياسي واضح . وقد رأيناها تقوم بنشاطها في نطاق الوضع الجديد مع اعترافها بفساد الوضع وتتصدّى لمحاربة الماركسيّة دفاعاً منها عن جمهوريّة هي من ألدّ أعدائها . أمّا « الحرس الخاص » فقد كان الغرض من إنشائه حماية حركة قوميّة ترفض تكريس الوضع القائم وتناضل في سبيل إنشاء ألمانيا جديدة .

ولست أنكر أن الحرس كان ، بادىء ذي بدء ، بمثابة بوليس مهمته حماية قاعة الاجتماع والحفاظ على النظام ، ومنع المشاغبين من مقاطعة الخطباء وتعطيل الاجتماعات . أي أنّه أنشىء في الأصل لأداء المهام الهجوميّة ، لا تعبداً منه للقوّة ، كما يزعم العنصريون الكذبة ، بل لأن الهجوم هو أفضل وسائل الدفاع ، ولأن أسمى الفكَر يمكن خنقها بالقضاء على صاحبها بضربة هراوة أو عصا .

إن منظمة الحرس التي أنشئت لحماية حركتنا ما اعتبرت العنف قطّ غاية بحدّ ذاته ، وقد تولّت الدفاع عن رسل الوطنيّة الاشتراكيّة بتفان وإخلاص وحماسة لأنّها آمنت بالوطنيّة الاشتراكيّة وأهدافها النبيلة . ولكنها أدركت منذ اللحظة الأولى أنّها غير ملزمة بحماية دولة لا تكفل للأمة أيّة حماية ، وأنّها مدعوة إلى الدفاع عن هذه الأمة بإحباط خطط الذين يريدون القضاء على الشعب والدولة .

• • •

بعد معركة قاعة هوفمبروهوس أطلقنا على وحدة الحرس اسماً جديداً

وقد قام حرصنا هذا – وحرصي أنا بنوع خاص – على الاعتبارات الآتيـــة :

إن التربية العسكريّة لشعب من الشعوب لا يمكن أن تتولاّها منظمات خاصة ما لم تقدم إليها الدولة مساعدات مالية سخيّة . يضاف إلى هذا أن المنظمات الخاصة تكتفي بفرض « نظامية اختياريّة » ممّا يجرّد القيادة من أداتها الرئيسيّة : القدرة على معاقبة من تجب معاقبته . لقد كان تأليف ما يسمّونه « الوحدات الحرّة » ممكناً في ربيع ١٩١٩ لأن هذه الوحدات تألّفت من محاربين قدماء وجنود سرحوا حديثاً ، وهؤلاء وأولئك تخرجوا من مدرسة الطاعة والنظام أي الجيش الألماني . ولكن الطاعة والنظام لم يكونا من الفضائل التي يتحلّى بها رجال « المنظمات الدفاعيّة » البورجوازيّة ، فهي لم تضمّ من الجنود المسرّحين أكثر من عشرة بالمئة ، وحتّى « النظامية الاختيارية » وجدت دائماً من يبرم بها ويحاول التهرّب من قيودها . ولا ننسى أن تدريب المتطوعة في المنظمات الدفاعيّة كان تدريباً اسميّاً ، فقد أُخضع المتطوّع الذي لم يحمل البندقيّة من قبل ، لتدريب أسبوعي مدّته ساعتان ، على أن تنتهي تنشئته في غضون ستّة أشهر .

لم ننسَ نحن جنود الأمس كيف كانت نيران العدوّ تحصد المجندين الجدد الذين تدفّقوا على الجبهة قبل أن يكتمل تدريبهم ويصلب عودهم . حتّى الذين دربوا تدريباً كافياً كان ارتباكهم واضحاً في المعارك الأولى ، وظلّ هذا شأنهم إلى أن أخذ بيدهم الرفاق «القدماء» . كم تبدو سخيفة والحالة ما ذكرت محاولات البورجوازيين الرامية إلى إنشاء وحدات مسلحة تعوزها القيادة والوسائل ، وتخضع لتدريب مدته ثماني ساعات في الشهر .

يمكننا بهذه الطريقة أن نجمع بضع عشرات من المحاربين القدماء في ما يشبه التعاونيّة أو النادي . . . ولكن هيهات أن نجعل من الفتيان جنوداً !

عندما اقترح بعض الرفاق أن تكون منظمتنا الهجوميّة ذات طابع سرّي

الأثر في نفوس السكّان .

وفي محطة كوبورغ كانت تنتظرنا مفاجأة مزعجة .

فقد استقبلتنا لجنة تنظيم المؤتمر وأبلغتنا أن النقابات المحليّة والحزب الاشتراكي المستقلّ والحزب الشيوعي والسلطات المحليّة قرّرت بالاتفاق مع منظمي المؤتمر – وهنا وجه الغرابة – مطالبتنا بدخول المدينة بمجموعات صغيرة ، فلا مواكب ولا أعلام ولا موسيقى الخ . . .

وقد رفضت ، دون ما تردّد ، هذه الشروط الغريبة ولم أكتم اللجنة أن مسلكها غير مشرّف ، وقلت لرئيسها إن فصائل فرقة الهجوم ستدخل المدينة صفوفاً متراصّة تتقدّمها الأعلام والموسيقى .

وهكذا كان .

وقبل أن نتحرّك من ميدان المحطة أقبلت جماهير غفيرة كانت تنتظر إشارة من خصومنا لتتحرّش بنا ، وراحت تكيل لنا السباب مهدّدة إيّانا بقبضاتها ، ولكن الفصائل لم تلق الهاتفين بالاً وتابعت تنظيم صفوفها ، ووصلت شراذم من البوليس فواكبتنا في طريقنا إلى قاعة هوفمبروهوس القائمة في قلب الجزء الأوسط من المدينة ، ولحقت بنا الجماهير الصاخبة دون أن تفتر لحظة واحدة عن التحرّش بنا . وما ان احتوت القاعة الصف الأخير من صفوفنا حتى همّ باقتحامها جمهور كبير ، فبادر البوليس إلى إقفال الأبواب ، كمن يريد وضع الاجتماع تحت حمايته ، فجمعت على الأثر رجالنا وأهبت بهم أن يكونوا على حذر ، ثمّ احتججت على إقفال الأبواب وطالبت بفتحها فوراً وقلت لآمر القوّة إنّنا قادرون على حماية الاجتماع بوسائلنا الخاصّة ، عندما يأزف موعد الاجتماع ، وأفهمته أنّنا نريد الانتقال إلى مركز الحزب في كوبورغ ، فأمر بفتح الأبواب وسلكنا طريقاً جديداً متجهين نحو المركز ونحن ننشد الأناشيد القوميّة ، ولما وجد الحمر وحلفاؤهم من دعاة « الاشتراكية والإخاء والمساواة » أن الشتائم لم تخرجنا من وقارنا عمدوا إلى الحجارة يرشقوننا بها ،

وحامل مشعلها عبر الأجيال .

نسوا ذلك كلّه ليدخلوا في جدل عقيم حول قضايا بعيدة عن جوهر الدين بعد الأرض عن السماء : و « تطوعت » الصحف الماركسيّة والملحدة لصب الزيت على النار بنشرها آراء سخيفة للجانبين . وبدلاً من أن يبادر العنصريون

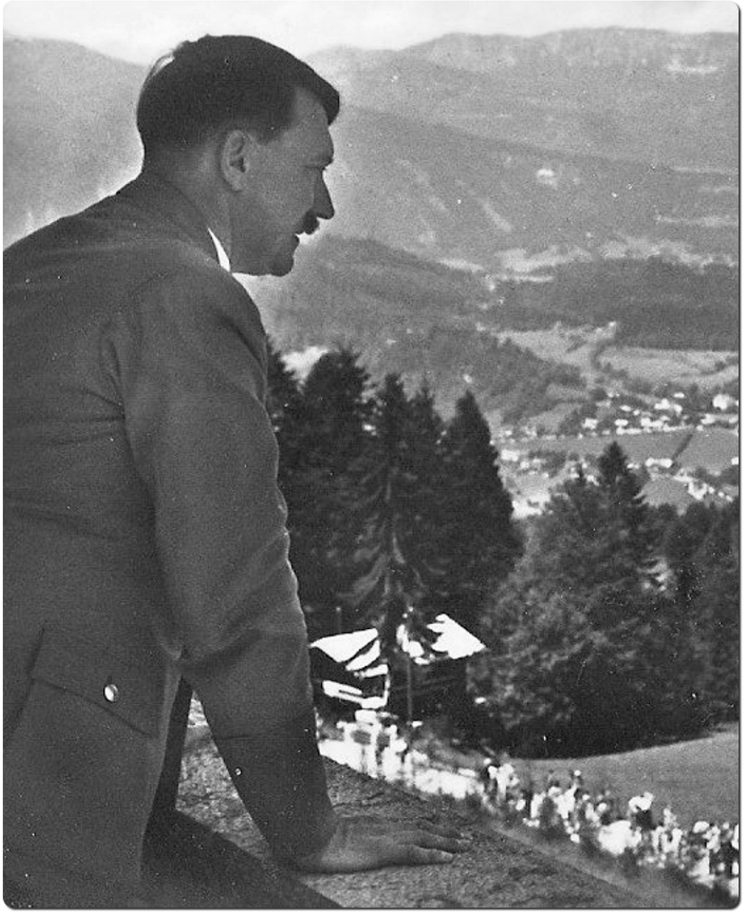

أدولف هتلر في فترة راحة واستجمام

الرابطة الشعبيّة ، واستخدمتها اليهودية العالميّة في الوقت نفسه في تقويض أسس الاقتصاد القومي لكلّ دولة مستقلّة ليتسنى لها استعباد الشعوب الحرّة .

لن يكون الإضراب ، بالنسبة إلى النقابات النازية ، وسيلة لتخريب الإنتاج القومي ونسف أسسه ، بل سيكون من بواعث ازدهاره ونموّه بفضل نضال النازية ضدّ العوامل المصطنعة التي تفوّت على الاقتصاد القومي فرصة الإفادة من نشاط السواد .

ينبغي لنا أن نرسخ في ذهن العامل النازي أن ازدهار الاقتصاد القومي يتيح له أن يرتع بالبحبوحة الماديّة .

ينبغي لنا أن ندخل في روع ربّ العمل النازي أنّ ازدهار مشروعاته يتوقّف ، إلى حد كبير ، على اطمئنان عماله إلى مستوى معيشتهم وارتياحهم إلى وضعهم .

في الدولة النازية يمثّل أرباب العمل والعمال الشعب الألماني في الحقل الذي يمارسون فيه نشاطهم ، ويستمتعون بقدر كافٍ من الحرية الشخصيّة ، لأنّ إنتاج الفرد يزداد إذا أُطلقت يده في العمل في الحدود التي ترسمها المصلحة العامة .

أمّا حقّ الإضراب فبديهي أن تنكره الدولة النازية على النقابات ما دامت توفر للعامل أسباب الرفاهية والطمأنينة ومناخ الحرية الذي يصبو إليه . ولكن الإضراب يصبح واجباً ، بل من أقدس واجبات التعاونيات النازية ، يوم تتجاهل الدولة – نازية كانت أو غير نازية – حقوق الكادحين وتنصب نفسها حامياً لمصالح أرباب العمل .

إن المنازعات التي تحمل اليوم ملايين البشر على التناحر والاقتتال يجب أن توجد لها التسويات العادلة غداً الهيئات الحرفيّة والبرلمان الاقتصادي المركزي الذي سيضم في الدولة النازية ممثلين عن أرباب الصناعة والتجارة وممثلين عن النقابات . وبقيام هذه المؤسسات يجب أن يزول التناحر بين

أنكر أن سياسة الحرب التي اعتمدها الإنكليز قد جرّت علينا الويلات ، ولكن ماذا يفيدنا اجترارنا الحقد على دولة لم يبقَ لها مصلحة ملحة في القضاء على ألمانيا القضاء المبرم ، بعد أن ألفت نفسها حيال خطر داهم هو خطر المطامع الاستعماريّة الفرنسيّة التي تجاوزت كلّ حدّ ؟

إنّ مصالح الشعبين الإنكليزي والألماني يمكن أن تلتقي ما دام العدو

هتلر يفكر

ولكنها عقبات يمكن تذليلها ، ألم يقم التحالف الودي بين فرنسا وإنكلترا في عهد ادوار السابع ، على الرغم ممّا بين الدولتين من بواعث النفور والعداء ؟ ونحن نستطيع أن نخرج من الحلقة المفرغة التي ندور فيها منذ عشرات السنين ، يوم نتحرّر من أوهامنا وننهج في الحقل الخارجي سياسة رشيدة تطلق أيدينا في الشرق ، بعد أن تكون قد قلّمت أظافر فرنسا في الغرب .

وليعلم الذين يجترّون أحقادهم أن الاستمرار في إغضاب أعداء الأمس

بسمة الثقة

كافة من شأنه أن يزيدهم تضافراً ، وأن القضيّة الألمانيّة تربح كثيراً من تفرّق كلمتهم ، وليعلم الذين يجترّون أحقادهم على إنكلترا وإيطاليا أنّ كلّ دولة لا تنظر بارتياح إلى تزايد نفوذ فرنسا في القارة هي حليفة طبيعيّة لألمانيا ، وأنّه لا يجوز لنا أن ندّخر وسعاً أو أن نحجم عن خطوة في سبيل استمالة هذه الدولة ، إذا كان تفاهمنا وإيّاها يدنينا من الهدف : سحق فرنسا التي تريد إبادتنا .

هتلر والنازية

الفصل الرابع عشر : الدولة وتنشئة النخبة ٢٣٦
الفصل الخامس عشر : رعايا الدولة والمواطنون ٢٤٠
الفصل السادس عشر : المفهوم الفلسفي والتنظيم ٢٤٨
الفصل السابع عشر : فعل الكلمة ٢٥٥
الفصل الثامن عشر : القوي قوي بنفسه ٢٧٥
الفصل التاسع عشر : القناع الفيدرالي ٢٩٩

هتلر والحركة النقابية

الفصل العشرون : الدعاوة والتنظيم ٣١٢
الفصل الحادي والعشرون : الحركة النقابية ٣٢١
الفصل الثاني والعشرون : سياسة المحالفات ٣٢٩
الفصل الثالث والعشرون : الاتجاه نحو الشرق ٣٥٣
الفصل الرابع والعشرون : حق الدفاع المشروع ٣٦٩
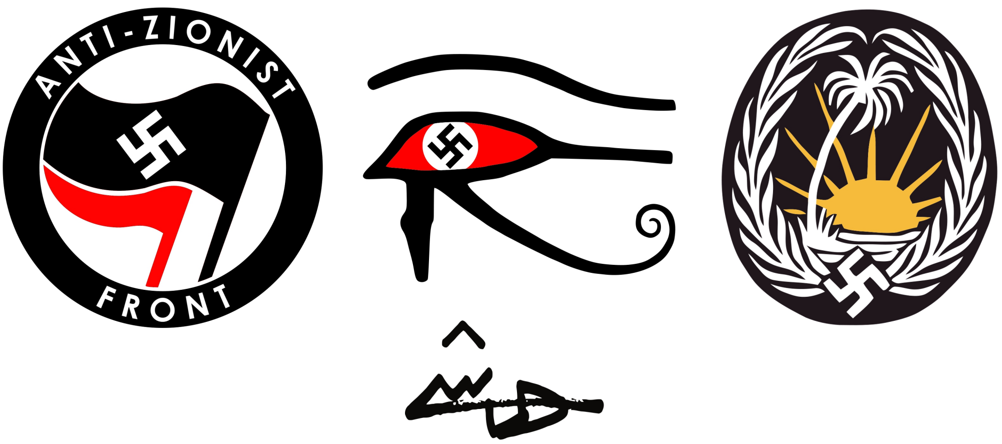
نهاية هتلر ٣٧٧